تشظيات السيرة والبحث عن الذات عند هدى الدغفق

ملخص:

انتشرت كتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي في الآونة الأخيرة، وخاصة السيرة الذاتية النسائية، وإذا تجاوزنا الفروقات الدقيقة بين كتب السيرة الذاتية، واليوميات، والمذكرات؛ فسنجد أن العدد أكثر بكثير، وهناك عَقْد سيرذاتي بين الكاتب وقارئه يتمثّل أحيانًا في العنوان الفرعي للكتاب، وأحيانًا ينصُّ الكاتب في المتن أنه يكتب سيرته الذاتية، وفي مخاطبة القارئ أحيانًا، مع أن القارئ لا يمكن أن يفرّق بين الحقيقة والخيال، خاصةً إذا لم يكن يعرف الكاتب معرفة شخصية.

في هذا البحث أحاول أن أقدِّم دراسةً لسيرة ذاتية متشظية بين ثلاثة كتب لشاعرة والكاتبة السعودية هدى الدغْفَق، وهي من الكاتبات اللواتي استهواهن هذا البوح وذلك الكَشْف؛ فهدى تتمتَّع بشخصية قوية، ومتمرِّدة كما تعلن دائمًا، وهي شخصية نسوية بامتياز.

وقد حاولتُ أن أستشف الأنثى في هذه الكتابات في مستويات ثلاثة هي: الأنثى البيولوجية، والأنثى المثقفة، والأنثى الاجتماعية، وإن كان بين هذه المستويات بعض التداخل وكثير من الالتباس.

أكثر ما يميّز هذه الكتابات هي الجرأة في البوح والقدرة على الكشف، وإن لم تحاول الكاتبة إقحام غيرها ممن حولها في هذه الكتابات التي تعمّدت أن تخلط بينها وبين المذكرات.

ولا يخفى أسلوب هدى الشاعرة في هذه السيَر؛ وهو أسلوب نثري يقترب كثيرًا من الشعر، ولكن بلا تعقيد أو إسراف في الصور والمحسنات.

الباحثة

د. كوثر محمد أحمد القاضي

أستاذ مشارك تخصص الأدب الحديث والسعودي

تخصص دقيق سرديات القصة القصيرة

كلية اللغة العربية/ جامعة أم القرى/ مكة المكرمة

dr.kawthar-algady@hotmail.com

٠٠٩٦٦٥٦٥٥٩٧٧٥

Fragmentation of biography and search for entity at Huda Aldaghfaq viewpoint

Abstract:

The writing of the biography in Arabic literature has recently spread, especially the biography of a female, and if we go beyond the nuances between the books of biography, diaries and memoirs, we will find that the number is much more, and there is a self-Biography contract between the writer and his reader is sometimes in the subtitle of the book, The writer writes in the text that he writes his autobiography, and in addressing the reader sometimes, although the reader cannot distinguish between truth and fiction, especially if the reader does not know the author personally.

In this paper, I try to present a study of a fragmentary biography of three books by Saudi poet and writer Huda Aldaghfaq, one of the writers who has been attracted by this revelation. She has a strong, Insurgent character, as she always declares, and a typically womanly character.

I have tried to discover the female in these writings at three levels: biological female, educated female, and social female, although there is some overlap and a lot of confusion between these levels.

What characterize these writings is the boldness to reveal and the ability to uncover, even if the author does not try to involve others around her in such writings which she intentionally mix with the notes.

The style of Huda poet in this attitude; as a prose style is very close to poetry, but without complication or extravagance in images and optimizers.

Researcher

Dr. Kawthar Mohammed Ahmed Al-Qadi

Associate Professor of Modern and Saudi Literature

Specialization of short story narratives

College of Arabic Language / Umm Al Qura University / Makkah

r.kawthar-algady@hotmail.comd

٠٠٩٦٦٥٦٥٥٥٩٧٧٥

تشظيات السيرة بحثا عن الذات عند هدى الدغفق

مدخل:

تعيش المرأة في المجتمعات العربية مواطناً من الدرجة الثانية في أفضل الأحوال؛ وتحضر المرأة في الوعي والتفكير ذاتًا غير مكتملة، ذاتًا تعيش باستمرار الحاجة إلى الآخر لكي تكتمل هويتها، فكيف ستكون كتابة هذه الذات المتشظية أصلاً؟ لابدّ أن تتميّز السيرة الذاتية النسائية بملامح خاصة لتعكس هذه الذات الحائرة الثائرة التي تتردد بين الانغلاق على نفسها، والانفتاح على الآخر؛ لتجد منطقة وسطًا تضمن لها البوح، وتضعها في المكانة التي تستحقها في المجتمع.

والتتبع التاريخي لظاهرة كتابة السيرة الذاتية النسائية ضروريّ؛ لأنه يهدف إلى تحديد الإطار العام للظروف التاريخية التي ساعدت المرأة العربية في دخول مضماريْ التعليم والعمل، وهو تاريخ متأخر عن تاريخ الرجل العربي، كما أنها تتفاوت من قطر عربي إلى آخر. (١)

إذاً فيمكن التأريخ للسيرة الذاتية العربية النسائية بدخول المرأة العربية عالميْ العلم والكتابة، وقد واجهت المرأة كما نعرف متاعب وصعوبات ومعارضات كثيرة لدخولها المدارس، وخاصة في السعودية. (٢)

وقد كانت المرأة المصرية سبّاقة في مجال التعليم والثقافة، وقد ربط خطاب النهضة المصرية بين قضايا المرأة وقضايا الحداثة، كما أن طلائع المبتعثين الذين عادوا إلى مصر طالبوا بتعليم المرأة، وقد هيأ التعليم المرأة العربية في مصر ولبنان كي تكتسب هوية مختلفة، وأفسح لها مجال الكتابة والتعبير عن آرائها بعد ظهور الصحف والمجلات والانفتاح على الفكر الغربي بالترجمات خصوصًا بعد ثورة ١٩١٩م. (٣)

إن أهم ما يجب أن تتسم به السيرة الذاتية: الجرأة والكشف، وهاتان صفتان غير مألوفتين في الكتابة العربية، فما بالك إذا كانت امرأة هي التي تمارس هذا النوع من الكشف؟ وماذا عن المرأة السعودية، وهي ذات خصوصية فريدة؛ بل إن مجتمعنا السعودي بأكمله له هذه الخصوصية، شئنا أم أبينا، والشاعرة

(١) انظر: التميمي، أمل "السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر" (المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م) ص٢٨.

(٢) انظر: الوشمي، عبدالله "فتنة القول بتعليم البنات في المملكة العربية السعودية –مقاربة دينية وسياسية واجتماعية" (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) صفحات عديدة عن معارضة تعليم البنات في السعودية

(٣) انظر: التميمي، أمل، المرجع السابق، ص٢٩-٣٢.

والكاتبة هدى الدغفق[١] مبدعة الأعمال السيرية التي سيتناولها

هذا البحث، من الأديبات اللواتي جرّبن الكتابة السيرية، بشكل شذريّ؛ فقد وزّعت سيرتها الذاتية على دواوينها الشعرية، وعلى كتابات أخرى وسمتْها بهذه السِّمة، وهدى تتمتع بشخصية جريئة ومحاربة، تأبى الاستسلام للسائد من العُرف والتقليد. ويتضح كل ذلك في مستويات ثلاثة تتضح فيها ثم تتمازج الأنثى في صورها الثلاث: الأنثى البيولوجية التي لا تغيب عن نصوص هدى، والأنثى الاجتماعية، والأنثى المثقفة.[٢]

وأعتقد أن جميع نصوص هدى دارت حول التلاقي والتجاذب والتنافر بين هذه المستويات الثلاثة، وقد صرّحت بذلك في بعض الحوارات الصحفية التي أُجريت معها، وسأبدأ استعراض أعمالها السيرية بحسب السبق التاريخي لصدورها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا البحث تأخر عدة أشهر بانتظار صدور كتابها "متطايرة حواسي" [٣] لتكون نصوصه داعمة لفكرة هذا البحث.

المبحث الأول : السيرة الثقافية

١- "أشقُّ البرقع... أرى":

تقول هدى عن هذه السيرة: "هذه السيرة لم تقل كل ما لديها، بل بعضه المهم، كما أنها اعترافات فاجأت ذاتي بها قبل المتلقي، وعلى نحو ذلك فهي بعض اعترافات، وبعض مذكرات لأكثر من مرحلة حياتية" [٤]

والحق أن هدى هنا دون أن تدري قد قررت أنها لا تدرك الفرق بين هذه الأنواع، وهذه الأجناسية هي ما دارت عليه دراسة الدكتور بدر المقبل [٥]؛ فاستعمالات

---

(١) هدى عبدالله الدغفق، مواليد ١٩٦٩م، ليسانس لغة عربية من جامعة الأميرة نورة،عملت معلمة لتدريس مناهج اللغة العربية وآدابها للمرحلتين المتوسطة والثانوية، ثم تقاعدت، شاعرة وكاتبة ولها كثير من المساهمات البحثية، وفي آخر البحث سيرتها كاملة.

(٢) استقيتُ فكرة هذه المستويات الثلاثة من: العلي، رشا ناصر "ثقافة النسق- قراءة في السرد النسوي المعاصر" (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٠م) وقد ظهرت تمامًا في كتابات هدى الدغفق، وربما غيرها من الكاتبات.

(٣) الدغفق، هدى "متطايرة حواسي ..شذرات سيرية" (الأردن: أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م)

(٤) الشاعرة هدى الدغفق في سيرتها "أشقُّ البرقع أرى" تجربة الكتابة جعلتني أعالج أزماتي الخاصة، حوار أحمد الواصل، صحيفة الرياض، ع١٥٨٧٢، ١٣محرم ١٤٣٣هـ/٥ ديسمبر ٢٠١١م.

(٥) المقبل، بدر "السيرة الذاتية النسائية في المملكة العربية السعودية- إرادة البوح وإشكالية التجنيس" مجلة العلوم العربية والإنسانية بجامعة القصيم، مج٧، ع٤، شوال ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م. الصفحات ١٤٨٧-١٥٥٢.

هذا النوع من الفنون السردية في الثقافة العربية، تتميز بالفوضى، وتستعمل مصطلحاته: مذكرات، يوميات، سيرة ذاتية، ذكريات... مترادفة في أفق دلالي واحد، ويشير إلى عدم وعي بعض الكاتبات بالأدبيات الفنية لكتابة فنون السيرة، ويعود ذلك إلى تأخر الوعي بهذا الفن واشتراطاته، وهذا يعود لسببين رئيسين: أحدهما يتصل بطبيعة هذا الفن نفسه، والآخر يتصل بشخصية الكاتب" (١) وأرى أن الكاتبة كانت تريد أن تكتب "ذاتها" ولم يكن يشغلها أن يكون ما تكتبه مذكرات أو يوميات أو سيرة، كما أنها لم تصنّف هذا العمل على أنه سيرة ذاتية حين نشر الكتاب.

وفي هذا الكتاب فجوة كبيرة بين ما هو متحقق وما هو واقعي، أو بين الواقع وبين ما يجب أن يكون، في ثورة كبيرة على القيود المجتمعية التي تحاصر الأنثى، فهنا تركيز على الجنوسة، وأنها أرضية للاختلاف، وتحديد الأنوثة بوصفها مصطلحًا إيجابيًا داخل تضاريس هذا الاختلاف.

أرادت هدى أن تطغى الأنثى المثقفة على الأنثى البيولوجية في هذا الكتاب، ولكن شغف الكاتبة بإبراز الأنثى في شخصيتها ممتزجة أحيانًا ومعادية أحيانًا للأنثى الاجتماعية، هو الذي صنّف الكتاب في النهاية.

سُمِيَت هذه السيرة بالسيرة الثقافية، وهي سيرة ذاتية، وإن لم تعنوّن بذلك على الغلاف، وهي كتابة يمكن تصنيفها ضمن ما يمكن أن يسمى "السرد السير ذاتي" والكاتبة تنتقي فترات من حياتها بشكل عشوائي غالبًا، ولا تلتزم التسلسل التاريخي، كما أنها أسقطت ما لا تريد تدوينه بالتأكيد.

وبدأته مع ذلك بـــ "تفاحة رغبتي المؤجلة" ومقدمة كالإهداء للذات المنشطرة"

كل ما يحول دون رؤيتي..
كل ما يحول دون ذاتي..
هو برقع..
أشقه..
أرى
وأرى" (٢)

إنها في صفحتين ونصف تلخّص مأساة النّساء في بلدها، فتكتب بحُرقة: "لستُ من كوكب آخر، أو جغرافيا متوهّمة، لكنني امرأة من المملكة العربية السعودية... انظروا إلى سنام المحرمات فوق ظهري... في مجتمع ذكوريّ صارم ومتجهّم وعنيف، يسعى إلى حرماني حصّتي من أوكسجين الحياة... برقعي يكبّل حرية جسدي، أما صوتي فيتلاشى في حضرة الصمت، ليس لديّ ما أفعله سوى

(١) المرجع السابق، ص١٤٩٢و١٥١١.

(٢) الدغفق، هدى "أشُقُّ البرقع ..أرى" (بيروت: جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١١م) ص١١.

أن أكتب..." [١]

يتميّز أسلوب الكاتبة ببساطته وقدرته على الولوج إلى مشاعر المتلقية، فإذا بدأت تكتب عن السلطتين الاجتماعية والأسرية، تشعر كل امرأة تقرأ كلماتها، أنها هدى الدغفق، خاصة من يماثلنها في المرحلة العُمرية والمنطقة التي عاشت فيها جزءًا من طفولتها ومراهقتها، وهذه فترة مهمة جدًا في حياتها؛ لأنها شكّلت وعيها وخوفها وتراكمات المشاعر التي هزتها في القابل من الأيام.

تحاكم هدى المجتمع وعاداته وتقاليده الذي أحكم قبضته على المرأة السعودية، وتقارن بينها وبين المرأة في المجتمعات العربية الأخرى، في فصل بعنوان "الخروج من الخيمة" وتتساءل بمرارة: هل خرجت فعلاً المرأة السعودية من الخيمة؟ أم مازالت تلك الأعمدة والأوتاد تحفر داخلها عميقًا؟ [٢]

وركّزت هدى على القوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية، وبيّنت الظلم الواقع على المرأة السعودية، خاصة ما يتعلّق بالسفر والتنقّل؛ ربما لحاجتها الشديدة للتنقل والإقامة داخل أو خارج بلدها، واستغربتْ كيف تُعامل المرأة غير السعودية معاملة مختلفة!

وتركز على القوانين التي تُلزم المرأة بأن يكون لها وكيل شرعي إن أرادت الاستثمار، ومحرم إن أرادت السفر حتى إن كان بغرض العلم أو العمل، ولا يستخرج للمرأة السعودية محرمها جواز سفر، ويتحكّم في التصريح لها بالسفر. [٣]

ترى هدى أن الوعي الحقوقيّ هو الأصل لكل أنواع الوعي، الذي يدفعك للالتزام بقضيتك، حتى تصل بك وبها إلى غايتك المرجوة، فالوعي الحقوقيّ يمكنك من الشجاعة التي يتطلبّها الفكر والرأي والتعبير. [٤]

فمن طموحات هدى أن تستطيع المرأة السعودية ممارسة مواطنتها كاملةً من خلال البطاقة الشخصية وجواز السفر، وأن يُفتح أمامها مجال الدراسة في التخصصات التي تريدها.

وتهتم هدى اهتمامًا خاصًا بعادات الزواج العائلية في السعودية، وكيف يؤدي اختيار الأهل للزوجين إلى مشكلات كثيرة تؤثر على المجتمع نفسه لاحقًا، ثم تعرّج على المناطق في السعودية بدايةً بالرياض التي تسكن فيها حاليًا، والتي ترى أنها أشد منابع الفكر التقليدي، والتي تعاني فيها المرأة من تحكُّم الرجل النجديّ، وهو يسعى

(١) المصدر السابق، ص١٣.
(٢) المصدر السابق، ص٢١.
(٣) انظر: المصدر السابق، ص٢٩.
(٤) الشاعرة هدى الدغفق في سيرتها "أشقُّ البرقع أرى" تجربة الكتابة جعلتني أعالج أزماتي الخاصة، حوار أحمد الواصل، صحيفة الرياض، مرجع سابق.

إلى تطبيق نموذج تربيته الأبوية المتسلِّطة التي لم تستطع أمه التأثير فيها، وهنا لأول مرة تلقي هدى اللوم على المرأة؛ فالتنشئة العائلية للرجل هي التي جعلته يعامل المرأة هذه المعاملة السيئة. فالأسرة النجدية تعطي الابن الذكر المكانة الرفيعة والتقدير، وبالمقابل تمارس أقصى صور المسخ لشخصيات بناتهن مما يؤدي إلى هربهن بالزواج المبكّر، دون أن يعلمنَ أنّهن قد يهربن إلى اضطهاد أكبر. (١)

ثم تبدأ هدى الحديث عن المنطقة الغربية وخاصة مدينة جدة، وترى أن الأسرة الحجازية تختلف في تنشئتها ونظرتها التربوية للمرأة، فلقد تربى الزوج في المنطقة الغربية على تقدير المرأة، واستطاعت المرأة في هذه المنطقة الحصول على معظم حقوقها وإن تزوّجت نجديًا لأن أسرتها توفّر لها الدعم والتوجيه.(٢)

أما الزواج بغير سعودي فهذه قضية أخرى يطول الحديث فيها، وتعدّ من المشكلات الاجتماعية الكبيرة في السعودية، وقد نوقشت كثيرًا على شتى المنابر، وتلمسها هدى هنا لمسًا خفيفًا؛ لتبين أولاً الفرق بين وضع الرجل الذي يتزوج من غير سعودية، ووضع المرأة التي تتزوج من غير سعودي، فبينما تُمنح الزوجة في الحالة الأولى الجنسية السعودية، يحرم أبناء السعودية المتزوجة من غير سعودي الجنسيّة، وهذا يترتّب عليه مشاكل كثيرة في مجالي الدراسة والعمل أولاً، ثم شؤون أخرى حياتيّة كثيرة. تقول "هناك سعوديّات تزوجن من غير السعوديين برضا أوليائهن، وما زلنَ يعانين حرمان أزواجهن وأبنائهن من حق الحصول على جنسيتهن السعودية، بينما يحظى ابن غير السعودية بجنسية والده السعودي بمجرد ولادته. وفي أواخر السنة المنصرمة ٢٠١٠ صدر عن وزارة الداخلية قرار يمنح أبناء السعوديات المتزوجات من غير السعوديين جنسية أمهاتهن، ولم يطبّق فعليًّا حتى الآن"(٣)

وتختم هدى حديثها عن الزواج – والحديث لن ينتهي إلا بالزواج الثقافي– بأنواع الزيجات التي شاعت مطلع الألفية الثالثة، والتي تظهر في السعودية بشكل أكبر بكثير من بقية البلاد العربية؛ لأسباب لا تخفى لعل من أهمها القيود القائمة على المرأة والرجل معًا فيما يتعلّق بالعلاقة الخاصة بينهما، وتذكر هدى زواج المسْيار وزواج المسْفار، وتبين الظلم الذي يقع على المرأة نتيجة موافقتها على زواج لا قيود واضحة عليه، حتى القضاء لا ينصفها(٤).

انطلقت هدى من فكرة مركزية هي اضطهاد المرأة "وهي الفكرة التي يرى

(١) انظر: المصدر السابق، ص٢٦.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٦–٢٨.
(٣) المصدر السابق، ص٣٢.
(٤) انظر: المصدر السابق، ص ٣٥–٣٨.

النقاد المعنيون بالشأن النِّسويّ أنها من حقائق الحياة"[١]، وخضعت لخصوصية المجتمع السعوديّ الذي نشأت فيه، وركائزه في التنشئة، والعادات والتقاليد الخاصة به، التي جعلته يختلف عن بقية المجتمعات الأخرى.

تهتم الكاتبة بالهُوية النفسية للمرأة، وتجد أن الثقافة –وهي مهمومة جدّا بها– لن تكتمل إلا بالاهتمام بالمرأة؛ ولذا لا يفوتها أن تختم الحديث عن هذه المعضلات التي تعاني منها المرأة بوضع الحلول التي تضمن هذه الغاية التي تريد الوصول إليها: إنهاء الاضطهاد الذي تعاني منه المرأة في الواقع بإعادة هيكلة الاستراتيجية التعليمية التي تضمن للمرأة حقها في التعلم والتوظيف والاستقلال الماديّ الذي تضمن به حاضرها ومستقبلها في فصل بعنوان: أيّ مواطَنة أريد؟ [٢]

بقية الكلام في فصول أخى في الخروج من الخيمة

في "سواد وجهي.. بياض وجهه" سؤال أرّق هدى سألته صديقة عربية: لماذا ترتدي المرأة الخليجية الأسود؟ فيما يرتدي الذكور اللون الأبيض؟ سؤال ترك جرحًا غائرًا في وجدان الكاتبة! التي ترى العباءة السوداء سجناً، بل قبراً، وأن المرأة السعودية تطلق لنفسها العنان خارج البلد، فتجرّب كل الألوان، وتتمرّن على الحرية بعيدًا عن قَيْد يحمي شرف المرأة الذي قد يُستباح في بلدها فقط!

ما القاسم المشترك بين الأنثى واللون الأسود؟

هل للزيّ التقليدي المتناقض تمامًا بين الرجال والنساء علاقة بالموروثات القبلية والتقاليد؟

هدى بدايةً تكره اللون الأسود؛ فهو لا يذكّرها إلا بالغراب، وترى أن الرجل الخليجي يعشق اللون الأسود؛ لأن الأنثى فقط هي التي تتبادر لذهنه عند رؤيته لهذا اللون!

هنا تتجسد الجنوسة في هذه التعارضات الثنائية التي تبدو متناقضة تمامًا؛ فإذا ذهبنا نبحث عن دلالات الأسود والأبيض في الطبيعة، وعند علماء النفس، عند الاستقصاء، تتكشف لدينا دلالات متعددة للون الأبيض والبياض في مكنوز التراث الثقافي العربي لكنها تشترك بمفاهيم متقاربة وقيم إنسانية ،صاغتها التجربة، فترسّخت في الثقافة الجمعية ومن ثم الوجدان، فهو لون النقاء والطُهر، والشتاء والبرد والثلج والماء والضوء، ولون السّلام؛ فالعَلَم الأبيض يُرفع عند الاستسلام في المعركة، حيث يُظهر نوايا السلام، والحَمامة البيضاء رمز السّلام، وغالبًا ما

---

(١) صبرة، أحمد " النقد النّسوي وبناء المفاهيم المضادة" (مصر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م) ص١٤.

(٢) انظر: "أشقُّ البرقع.. أرى" مصدر سابق، ص٤١.

ترتدي العروس ثوبًا أبيض في حفل الزفاف، مع أن اللون الأبيض هو في الحقيقة مجموع كافة الألوان في الطيف المرئي. (١)

بينما شاع بين النّاس في المشرق العربي أن اللون الأسود هو رمز الحزن؛ فيلبس المعزون اللون الأسود حدادًا على الميّت – ويلبس المعزون في بلاد الشرق الأخرى اللون الأبيض حدادًا على الميّت – وهو لون الصمت والوحدة والغياب، ولون الليل والظلام.

ويرى علماء النّفس أن اللون الأسود يرمز للوقار والتمسّك بالتقاليد المرعية، ولكن الشخصيات التي تلبس هذا اللون توصف بالغموض والعيْش في عالم مغلق ومظلم، وهذا ما يمكن أن يتفق مع رؤية الكاتبة ويناقضها في الوقت نفسه!

هل كانت الكاتبة تعي كل هذه التفسيرات، أو هل كانت تركن إلى هذه الآراء، كانت هدى بالطبع لا ترى في سواد العباءة إلا غلالة كئيبة زائفة يظن من حولها أنها التي تحمي شرف المرأة وسمعتها.

بينما اللون الأبيض الذي يهيمن على ثوب الرجل في السعودية، هو لون الطهر والنقاء، فالرجل طاهر في نظر المجتمع مهما فعل. فاللون الأبيض ــ مع أنه أكثر الألوان سطوعًا، ــ يطفئ بريق الألوان الأخرى عند اختلاطه بها، وتتعمّق دلالات البياض بالطبع عند تقابله الضدّي مع السواد، وأعتقد أن هذه الثنائية الضدّية تحيل على ثنائية أكثر عمقًا وتأثيرًا في نظرة المجتمع وأعرافه.

ثم تتعرّض الكاتبة لقضية شائكة – كانت وما زالت– في السعودية، وهي قضية قيادة المرأة للسيارة، وتنطلق منذ أول مظاهرة نسائية لقيادة المرأة للسيارة في الرياض ٦ نوفمبر١٩٩٠م، وفي ٦ نوفمبر كذلك، ولكن في العام ٢٠٠٤م تمكّنت الكاتبة من تعلّم قيادة السيارة!

وتحكي هنا هدى بضمير الغائب، فتتحدث عن ذاتها، وعن تجربتها في تعلّم قيادة السيارة، والإحباطات التي أصابتها، والسعادة التي شعرت بها وهي تتقن القيادة، وتحكي وكأنها تتحدث عن ذات أخرى، وأعتقد أن سبب ذلك هو محاولتها أن تعمّم هذه التجربة على جميع السعوديات اللائي مازالت هذه الأمنية البعيدة إحدى طموحاتهن التي يأملن أن تتحقق!

يأتي القسم الثاني من هذا الكتاب الذي يصنّف كسيرة ذاتية وثقافية لكاتبته، بعنوان "سيرتي الناقصة" وأرى أن هذا القسم الأقرب إلى الكاتبة يحتوي على عدة مستويات سردية، وتعددية الأصوات ظاهرة موجودة في نصوص المرأة، وفي

---

(١) انظر: السمّوري، محمد "دلالات اللون الأبيض" موقع "ديوان العرب" www.diwanalarab.com ٢٩ ديسمبر، ٢٠٠٨م.

هذه الحالة لدينا نص سطحيّ يحوي كثيرًا من التضليل للقارئ، يتوارى خلفه نص عميق يدين هذه القيود المجتمعية الضاغطة، التي تضع المرأة –وخاصة المرأة المثقفة– بين خيارين أحلاهما مُر، إما الانصياع وإما الضياع!

ومع أن الكاتبة لم تخرج عن القضايا التي حاولت عرضها في القسم الأول؛ فإنها هنا تدخل لذاتها أكثر، لهمها الشخصي الذي هو أيضًا هَم كل بنات بلدها اللواتي يشاركنها هذه الأوضاع التي لا تعجبها، وتسعى لتغييرها، أو على الأقل لتعليق الجرس، وهي مهمة ليست يسيرة كذلك.

تحت عنوان: في جغرافية عائلتي، وضعت الكاتبة علاقتها بإخوتها الذكور، الذين يتصدرهم أخوها الأكبر وهو بمثابة الوالد والسند لها.

لم يتجاوز حديثها عن رحلتها التعليمية صفحتين، في الوقت الذي كان يجب أن يأخذ هذا الشأن مساحة أكبر بكثير، إذا كانت ستستمر في نهجها في انتقاد الأوضاع الخاصة بالمرأة السعودية، وما عانته هي شخصيًّا في رحلتها التعليمية، لكن القارئ يجد أن الكاتبة تحجم عن السير في بعض الطرق الوعرة.

لم تفصّل الكاتبة في الأسباب التي منعتها من الانتظام في الدراسة الجامعية، واضطرارها إلى الدراسة كمنتسبة مثلاً ، تقول:

"بعد تخرجي من الثانوية العامة عام ١٩٨٦ أردت إكمال دراستي الجامعية، والالتحاق بإحدى الجامعات أو الكليات المحدودة في مدينة الرياض، حيث لم تكن في مدينة الخرج سوى كلية متوسطة، إلا أن عائلتي رفضت إقامتي في سكن الطالبات، فاضطررت إلى الانتساب إلى كلية الآداب متحدية كل القيود" .

ما هي القيود التي تحدتها؟ فهي رضخت لنظام الانتساب، ورضخت لتخصص ربما لم تكن تريده، فهي لم توضح ماذا كان التخصص الأثير لديها، ثم عملت بالتعليم وهي الوظيفة الوحيدة التي يتقبلها الوسط المحافظ.

تخرق هدى بعض القواعد التي يمليها عليها محيطها لما يجب أن تكون عليه الأنثى، لكنها تتبناها في الوقت نفسه، فهي لا تواجهها صراحة بل مداورة، وذلك ببقائها في مجال مراقبة محيطها إلا للضرورةّ، هكذا لا تخضع الكاتبة لقواعد محيطها فحسب، بل هي تقوم عبر سلوكها المداور والدفاعي، بإعادة إنتاج هذه القواعد. ويفعل أبوها الشيء نفسه؛ يداور بالحيلة لأنه لا يرغب بمناهضة النظم الرئيسة التي تحكم انتماء ابنته لبنات جنسها، مع أنه مقتنع بتميزها عنهن!

ومع إلحاح الكاتبة على فكرة دعم والدها لها إلا أنها تقرر هذه الحقيقة، تقول على سبيل المثال:

"وبالرغم من أن أبي طلب مني النشر باسم مستعار مرات عديدة أو ترك الكتابة،

بقيت أنشر باسمي، ولقد كان موقف أبي فيما يخص مسألة النشر والكتابة مشجعًا لي، كان يخبرني أحيانًا عن ثناء بعض أصحابه على قلمي، وكذلك عن محاولة بعضهم مضايقته، ولومهم إياه على الإذن لي بالكتابة والنشر، لقد كان أبي أصدق تعبير عن نبض شارعه آنذاك..." (١)

هل اقتصر دعمه على "السماح" لها بالكتابة؟ أو الرد على المكالمات الهاتفية؟ أو مراسلة بعض الكتّاب والمثقفين ثم قراءة هذه الرسائل على مسمع منه؟ هل اقتنعت هدى الثائرة دائمًا الشاكية باستمرار بما تسميه هنا دعمًا؟ وكيف تريد أن تقنع القارئ السعودي تحديدًا الذي عاش الزمن نفسه، وهو ليس ببعيد!

تقول:

"لم يكمل أبي دراسته ولم يكن مثقفًا بما يكفي، لم تكن ثقافته ثقافة أسماء أو كتب ... منحني والدي عبدالله حقوقًا، لم يمنحها أب لابنته آنذاك، فأذن لي بالحديث الهاتفي مع بعض المثقفين وأهل الإعلام وكان يتناوب وأمي على الاستماع إلى مكالماتي" (٢)

الكاتبة التي جاوزت حدود الخمسين ترى أن كل ما سبق حرية وثقة منحها إياها أبواها!

يتعرض الأستاذ إبراهيم شحبي لهذه الأعراف التي عطّلت المرأة اجتماعيًّا فيقول:

"كثير من المجالات محظورة على المرأة، حظرًا تفسيريًا اجتماعيًا يخضع لمنطق التقنين الاجتماعي المبني على تفسيرات للتاريخ لا على حقيقة التاريخ، فحُشرت المرأة على مهنة التعليم، وأُقنعت قسْرًا بأنها عوْرة حتى اضطرت إلى ركوب الاسم المستعار، حفاظًا على هذا الاسم العورة من الظهور، وبالتالي صار إبداع المبدعات يرتبط بهذه النّظرة، وصرن مطاردات نسائيًّا أو جنسيًّا، وذلك لا يعود إلى طبيعة تقنين الدين بمقدار ما يعود إلى طبيعة تقنين اجتماعي..." (٣)

وهنا تلتقي نظرة إبراهيم شحبي بنظرة هدى الدغفق، وهي في أصلها إنكار هذا العنف المجتمعي الذي يمارس على المرأة ليصمها بالعار مهما كبرت سنًّا أو عِلمًا أو ثقافة!

---

(١) الدغفق، هدى "اشق البرقع" مصدر سابق، ص٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص٨٦.

(٣) شحبي، إبراهيم "الهُوية نسوانية المستقبل" (لندن: طوى للثقافة والنشر والإعلام، ٢٠١٤م) ص١١٨-١١٩.

المبحث الثاني : السيرة التفاعلية :

٢- "هستيريا الافتراض"[١]:

في "سيرة تفاعلية حينًا" تصف هدى علاقتها المتوترة بالعالم الافتراضي (الإلكتروني) منذ ضياع كتاباتها على الحاسوب بسبب عبث قدمها بأحد أسلاكه.

وكانت هدى تخشى الكتابة في المواقع، ولا تنشر من كتاباتها إلا ما نُشر منها ورقيًّا، وبالطبع بالاسم الصريح؛ وذلك في ظل عدم وجود قوانين الحماية الفكرية لما يُكتب في المواقع، وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي.

وعندما بدأت تتأقلم شيئًا فشيئًا مع مواقع التواصل، احتلّ الفيس بوك مكانة كبيرة لديها فألِفَته.

ولكن هدى المنشغلة بمحاولة كسر السلطات الناقدة والحاجبة للإبداع، حاولت أن لا تعير الرقيب اهتمامًا، وكتبت بمزيد من الجرأة والشجاعة، سواءً في طرح الأفكار والآراء، أو في التواصل مع المستخدمين الرقميين، فلم تتحفّظ في علاقتها بالرجل، ووجدت أن الحرية الرقمية فضاء مطلق، واستمتعت بهذه الحرية في التواصل، التي لا تجدها على أرض الواقع!

هذا الكتاب "هستيريا الافتراض" تناول هذا الوحش الالكتروني كما وصفته هدى، وهذه الصفحات القليلة جدًا التي عنونتها بـــ "سيرة افتراضية" جاءت على استحياء آخر الكتاب لهدى المغرمة بـــ "نثر" شذرات من سيرتها هنا وهناك بعنوان "سيرة تفاعلية حينًا رقمية أحيانًا" وكان ما يهم هدى في الكتابة الافتراضية –إذا صح التعبير– هو تعميق الصداقات الإلكترونية، وتجريب قدراتها في الالتقاء بالبشر ولو افتراضيًا لأنها تعيش العزلة الإبداعية كما عبّرت عن ذلك دائمًا، تقول:

"أحسستُ بأن عزلتي الإبداعية التي لطالما توحشت بافتقارها إلى قناة تصلها بالمتلقي لتتفاعل معه تفاعلاً مباشرًا، تلاشت إلى حد كبير حين اهتدت إلى الشبكة الإلكترونية، فقفزت بي عن أسوار عزلتي ولم تعد تطوقني ثانية" [٢]

فهي لم تتحفظ في علاقاتها، وآمنت بقدر ما استخدمت وسائل التواصل بأنها ستغيِّر أنماط العلاقة بين المرأة والرجل، وهنا تبرز الهُوية الرقمية، ومدى صِدق أو مصداقية هذه العلاقات، وهدى التي تزوّجت زواجًا ثقافيًّا من الشاعر سعد الهمزاني وانفصلت عنه، تبحث هنا عن مزيّة في هذه العلاقات غير متحققة في الواقع وتكتشفها سريعًا، تقول:

"لا يُبنى التعارف الشبكي والتواصل والانفصال على قِيَم متحققة بعينها كما هو الحال في الواقع، بل على العكس من ذلك

(١) الدغفق، هدى "هيستيريا الافتراض" (مصر: دار العين للنشر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)

(٢) المصدر السابق، ص١٣٩.

فاكتشاف الخيانة، أو عدم الإخلاص أو عدم الصدق على سبيل المثال، لا يؤدي إلى قطيعة أو يُحدث صدمة... لكل هُويّة رقمية أخلاقياتها التي تصوغ من خلالها "ميثاق الشرف" الخاص بها!" (١)

هدى خرجت من عزلتها المجتمعية والإبداعية إلى عزلة أخرى هي عزلتها عن مجتمعها ووسطها الإبداعي الحقيقي الملموس إلى مجتمعها "الفيسبوكي" كما تسميه، واستمرأت هذه العزلة حتى أصبحت تشرب قهوتها الصباحية، وتتشارك قيلولة الظهر وشاي العصر مع أصدقائها الافتراضيين على صفحات الفيسبوك كما تقول. (٢)

وأسلوب الكاتبة في هذا الكتاب أسلوب علميّ خالص في معظمه؛ فقد أرادته كتابًا متخصِّصًا في العالم الافتراضيّ، ومميزاته وعيوبه، ومميزات الكتابة على هذه المواقع وأخطارها في ظل عدم وجود حماية فكرية كافية للمدونات، ولكنها أنهتْ الكتاب بعلاقتها بهذه المواقع.

وقد يبدو أن هدى لا تهتم كثيرًا بما يجري حولها في عالم المحسوسات الحقيقية من خلال قراءة هذا الكتاب، لكنها تنقض هذه الفكرة تمامًا في كتابها الثالث: "متطايرة حواسي"

المبحث الثالث: السيرة التأملية :

٣- "متطايرة حواسي":

صدر هذا الكتاب قبل أيام قليلة؛ ولذا فهذه هي القراءة الأولى له غالبًا، وعنونت الكاتبة هذا الكتاب بـــ "متطايرة حواسي ... شذرات سيرية" وهو أقلّ من ذلك بكثير، بل أين السيرة فيما كُتب بين غلافي هذا الكتاب؟ لا أجد سوى أن هدى "تأملت ذاتها"وما يحيط بها من موجودات وصبغت هذه الموجودات بمشاعر تريد للقارئ أن يصدّقها، هذا بخلاف الكتاب الأول الذي أرادته سيرة ثقافية، فقد استطاعت أن تبوح فيه أكثر؛ فلدى الكاتبة عمومًا هذا الهاجس بالبوح بمكنونات النّفس، لكن هذا البوح يشكّل تخوّفًا ظاهرًا لا يجعلها تبوح بكلّ شيء جملة وتفصيلاً، مرة واحدة، فهي أنثى مؤجلة، أنثى عاجزة عن تحقيق تطلعاتها الكبيرة، تقول:

"ذاتي شجرة خريفية تتهلهل في الأزقّة والطرقات، تهوي على الأرصفة" (٣)

خمس عشرة صفحة حتى هذا المقتبس، كلها عتبات ومقدمات، تتلكأ قبل البوح الأول في الصفحة السابعة عشرة!

ثم إن السرد هنا سرد نسويّ بامتياز، يقدّم الجسد الأنثويّ بفروقه النوعية التي تفرض حضورها تأثّرًا بمصدر الإبداع والإنتاج، أي الأنثى.

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٤.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٤٧.

(٣) الدغفق، هدى "متطايرة حواسي ..شذرات سيرية" مصدر سابق، ص١٥.

والكاتبة في هذا الكتاب أيضًا ترتكز على ثنائية الجنوسة؛ وهدى الأنثى هنا تظهر بقوة أكثر من الكتاب الأول، إزاء إناث أخريات من المحسوسات، وذكورٍ آخرين، وتتعاطف هدى مع الإناث، وتتعايش مع ذكور المحسوسات.

وتشذُّ العباءة عن كل الإناث؛ بل هي تسلبها أنوثتها، ولا تعود إليها هذه الأنوثة إلا إذا انسلخت من هذه العباءة، ففي فصل بعنوان "قبو أسود" تقول:

"تعود إليّ دهشتي، وعيناي ويداي ورأسي، إذا انسلختُ من العباءة. تعود إليّ تقاسيم أنوثتي. يحضنني نهداي ويرقصُ شعري البنيُّ المجعّد رقصاته الهستيرية" (١)

تضع شعرها البنيّ المجعّد في خلاف مع عباءتها، فشعرها الذي يشبه مزاجها الصعب، يضيق بعباءتها ويكاد يمزّق وشاحها الأسود كذلك، ذلك السواد الذي يمنع الأكسجين حتى عن حقيبتها، تقول:

"... كم ضحك لي وربما عليّ سائق التاكسي الذي صحبني من المطار إلى الفندق، وهو يراني أُلقي بعباءتي في كيس بلاستيكي أحمله معي، وإذا لم أجد كيسًا، أضعها في حقيبتي اليدوية الكبيرة التي تتذمر متوسلة أن أُزيح عنها ذلك السواد الذي يمنع عنها الأكسجين... ليس السواد إلا علامة على ثاني أكسيد الكربون في رأيي أنا وحقيبتي". (٢)

تحكي هدى هنا قصتها مع العباءة، وبداية إلزامها بلبسها في طفولتها، تقول:

"رفضتُ أن ألبس العباءة التي اشترتها لي أمي... يومها ارتديت على وجهي غطاءً أيضًا وأمسكت بطرفي عباءتي وظللتُ أركض في الشوارع... كنتُ أطير وعباءتي من خلفي تطير، ولا تنزل عني حتى أعود إلى البيت، تنبهتُ إلى تلك التي تتبعني، كانت عباءتي تسابقني، واقفةً تنتظر نهوضي لتلحق بي! حاولتُ التخلص من العباءة مرارًا فلم أفلح". (٣)

العباءة تطاردها وتطرد عنها الحياة، ، تسلبها الهواء، تسلبها الأكسجين، فتسلبها الحياة.

الكاتبة التي تتمرّد على العباءة وتتخلّص منها في الخارج، لم تستطع التخلص منها منذ هذا الوقت المبكّر حتى الآن في بلدها!

هذه هي الأنثى الوحيدة التي لم تأنس إليها هدى، ولم تحظ بتأييدها والتماهي بها، ربما لأن السواد يغلفها، وربما لأنها أُجبرت وما زالت على ارتدائها.

يرى بعض اللغويين أن هناك لغة للمرأة، أو ما يسمونه: خطاب الضعف: أي أن يكون الحديث مهذّبًا، عاطفيًا، حسّاسًا، مطيعًا، ثرثارًا، غير محددٍ، فاتراً، عذباً،

(١) المصدر السابق، ص٢١.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣.

(٣) نفسه.

وفي حالة تناقض مع أحاديث الرجال، أو حديث القوة، الذي هو: قادر، مباشر، عقلاني، يبرز حسًّا فكاهيًّا، غير عاطفيّ، فظ، وقوي في النغمة واختيار الألفاظ. (١)

وأجد بعض هذه الخصائص في أسلوب الكاتبة في هذا الكتاب بالذات، وإن كان صوت المرأة الكاتبة في مجتمع ذكوري مهيمن، يبدو مزدوجًا، فهي لا تستطيع أن تتحدث عن ذاتها إلا والذكر يجاورها وإن كان ذكرًا من المحسوسات، وهذا يعني أن هناك تعددية في الأصوات، وفي نصوص كهذه، مصنفة منذ الغلاف بأنها سيرية، يفترض أن تكون الكاتبة هي الساردة، فهي تكتب بصوتها، لكن هدى ترسم نفسها كأنثى مترفة مرهفة الإحساس، تُمارس عليها ضغوط حياتية ومجتمعية تقمع فيها هذه الأنثى؛ لذلك تصف نفسها منذ البداية بأنها متمردة، تقول:

"عنيدة منذ صغري، نادرًا ما لبيتُ بعض أوامر إخوتي لذلك تجاهلوني. وزادهم جلوسي عن يمين أبي في مجلس الرجال حنقًا عليّ... ذات مرة طلب أخي أن أجلب له كوب ماء فقلت له: اجلبه أنت. كرّر طلبه فرفضت أيضًا. ضرب أخي طرف جبيني بحوض الغسيل وأحدث ذلك جرحًا بليغًا ما زال أثره حتى اليوم ليذكرني بعصياني... لا أدري لماذا تجاهلت طلب أخي البسيط، ولكني أفسِّر الموضوع بتمردي المبكر". (٢)

ومع ذلك فهي تدّعي السعادة! تقول على سبيل المثال:

"في أرجاء بيتي الصغير، أتناثر وكتبي على المائدة، وفوق الرفوف، على السرير والكراسي وطاولة الطعام وإلى جوار التليفزيون، لذلك فالبيت يشتعل خيالاً حتى في سباتنا... أجيد الاعتناء بأشيائي، لأنني أحيا في دوائرها، ،أركانها ومحتوياتها". (٣)

إن الوِحدة التي تعيشها هدى، بحثًا عن الأنا، وبحثًا –ربما– عمن يشاركها هذا الوجود، حوّلت المعنويات إلى محسوسات، إن الكاتبة التي يبدو أنها تحتفي بوحدتها وعلاقتها بكل ما يحيط بها، في الحقيقة تهفو إلى هذا الآخر الذي يخرجها من هذا السجن الذي أبدعت في وصف قضبانه.

تقول:

"كلما بكيتُ اختبأتُ في قبو بيتنا دون أن تشعر بي عائلتي، فبرغم كثرة إخوتي نشأتْ خواطري على توهُّم أنني وحيدة وزاد شعوري الموجوع ذاك من نزقي نحو أيِّ شيء". (٤)

الكتب والدفاتر والأقلام تحيط بها

---

(١) انظر: صبرة، أحمد "النقد النّسوي وبناء المفاهيم المضادة" مرجع سابق، ص٨١.

(٢) الدغفق، هدى "متطايرة حواسي" مصدر سابق، ص١٨.

(٣) المصدر السابق، ص٣١.

(٤) المصدر السابق، ص١٧.

من كل اتجاه، الدفاتر الملوّنة بأغلفتها المتحفّزة التي تدعوها للكتابة، أرض أنثى تبذر عليها كلماتها، والورقة أنثى، والكلمات أنثى، جميعهن إناث رقيقات مثلها، وهي تخشى أن تخدش الورقة بقلم الحبر السائل، وقد يرمز القلم السائل إلى الذكر، فهي لا تريد له أن يصل إلى أنثاها ويخدشها، لا تريد أن تضغط على خد الكلمات؛ فالورقة أنثاها ورفيقتها الدائمة، تلازمها حتى في نومها، وفي حلّها وترحالها. (١)

لقد بالغت الكاتبة في علاقتها العاطفية بكل الموجودات حولها، خاصة الإناث، وعلاقتها بذاتها واعتزازها بها، إنها تريد أن تمجّد هذه الوِحدة وتُعلي من شأنها؛ فهي لا تريد أن تشعر أنها وحيدة في هذا العالم بعد طلاقها وابتعادها عن أهلها واستقرارها وحيدة في الرياض.

إنها تحن إلى حضن أمها، ورعاية أبيها وحدبه عليها مما كتبت عنه في كتابها الأول؛ ولذلك فهي تراهم في هذه الجمادات التي بذلت جهدًا كبيرًا في محاولة بعث الحياة فيها.

وفي فصل بعنوان "محسوسات" منتصف الكتاب تقريبًا تكتب مقدمة له:

"سأؤرخ من بعض أحداثي الطارئة عمليات غير مشروعة في مؤشرات البحث ليصنّفها المستخدمون كفيروس" وكأن ما سبق ليس حديثًا عن المحسوسات!

في "لسعة حسيّة" يظهر التشخيص أكثر من كل ما سبق في حديثها مع الأقلام والأوراق، فتبدو منشفتها البنفسجية كائنًا حيًّا سويًّا، تقول:

"تتمسّح منشفتي بي، تغري بلونها البنفسجي أنوثتي فنصرخ بالنشوة المشتركة. أتهيأ لحمّامي، فأجدها تتعلّق بالباب، تنتظر بشغف كبير رائحة الشامبو وفقاعات الصابون، وإذا أرهقني السهر ولم أستطع النوم تهبط بسلام إليّ لأغمضني في حضن رائحتها الناعسة وأنام في خشوعٍ أثير.

قد تتألم محسوساتي أو تصاب بالأرق مثلي أحيانًا فأضع لها الكمادات، وقد أناولها حبَّة مسكِّن وأرعاها حتى تتماثل للشفاء".(٢)

إن ما هو موجود في هذا المقتبس وفي مواضع كثيرة في الكتاب يتجاوز التشخيص إلى الأنْسنة، حيث يتحوّل الجماد تمامًا إلى إنسان يشعر بما يشعر به ويتحدث بلسانه ويحاوره.

في "مطر أبوي" تتصالح مؤقتًا مع ذكور الجمادات، تقول:

"سأكون الرصيف والجدار والطريق والمقهى، ليبللني مطر الله ويجلو عواطفي...

سأهدي هذا الغيم ومطره الذي سأبتكر إلى أبي حيثما يكون، فحضنه يهطل في كل

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص٤٥-٤٦.

المواسم، وفي عينيه يركض الغيم فأتنفس حياتي". (١)

كلُّ هذه المحسوسات المذكّرة تعيدها للحياة وهي في خلال ذلك أنثى طاغية، بلا مظلة بل إن مظلتها مقلوبة تستقبل المطر:

تتشكّل المظلات في وضعية جاهزة للحماية.. أنا مظلتي مقلوبة، وعاء أغرق فيه، أنا بِرْكَةٌ ماطرة، أستعذبُ سباحتي فيَّ بأنوثةٍ طاغية".(٢)

وفي "رائحة أمومية" تشعر الكاتبة بالوِحدة والفراغ، ولكنها تحشوهما بما امتلأ به هذا الفضاء من من جمادات، تقول:

"أحشو سريري الكبير بأعضائي ودفاتري ومصباحي وأنقش قصص حبي وأزهر ابتساماتي وأغنّي أحلامي العاطفية، وأُحكم غطائي الوثير على أسرار أنفاسي كي لا يحترق بها ملائكتي الحاضرون.

لا يروقني ترتيب سريري ... كما أنه لا يتكيّف بحسب الفصول، بل بحسب حاجتي إليه، كما أنه يحتفظ برائحة أمي التي تشاركني النوم في سريري كلما زارتني..." (٣)

وتحاول بث الحياة في وحدتها بتغيير طريقة نومها، وهي تصف طرقًا عديدة لوضع المخدة أو اللحاف. (٤) لكنها تخشى الضوء الذي يتلصص على أحلامها؛ وتلبس لها "نظارة" نظارة خاصة ببُعد النظر وتنام بها، ربما ترمز النظارة لبُعد البصيرة وقدرة الإنسان على رؤية الأمور على حقيقتها، وربما ترمز لتمام الشيء وصحته؛ فهي تعين على الرؤية الصحيحة؛ ولذا ترى هدى في أحلامها فتاة عشرينية، في بداية سلّمها للحب، فتتمنى لو أنها لبست نظارة شمسية، ربما لتحجب عنها واقعها الذي تعانيه، هذا الواقع الذي تراه بنظارة متسخة، تقول:

"على عدسة نظارتي أترك بعض الأثر، لأتأكد أن الحياة ليست بهذا الصفو، فالكدر يحيط بها، ربما لي فلسفة متشائمة".(٥)

ولكنها لا تُغفل خلال ذلك الأنثى الباذخة التي بدأت بها هذه "الشذرات" بل هي تظهر أكثر قوة وإغراءً وكشفًا، تقول:

"ذات مساء افتقدتُ قِرطًا من أقراطي، ونكدي بفقد واحد منها يختلف عن أيٍّ نكد. إن فقْد القِرط يجعل الأخت الثانية وحيدة وهو ما يشيع فيّ بؤسًا مضاعفًا... لا يمكنني النوم وفي أذني قِرط. حين أستعد للنوم أخلع كل حليّي. وأغفو بسلام.

ليست كلّ الأقراط إناثًا. هناك أقراط ذكور تشعرني بأنه لابدّ من تركها تمضي

(١) المصدر السابق، ص٥١-٥٣.
(٢) المصدر السابق، ص٥٢.
(٣) المصدر السابق، ص٦٥.
(٤) انظر: المصدر السابق، ص ٦٥-٦٦.
(٥) المصدر السابق، ص٦٧.

إلى حال سبيلها. فهي تمارس وخزها المستمر في خرم أذني وكأنها تمتلك قضيبًا. يحدث ذلك التحرّش منها حيث أتبيّن على شحمة أذني انتفاخًا، فأتحسسها منتبهةً إلى بطنها المتورمة كعلامة لحملها. ههنا أتقصّد فقْد أقراطي المذكّرة التي حاولت اغتصاب أذني، وأطيل في تحطيم أجسامها قبل أن أُلقي بها في إحدى الطرق السريعة".(١)

ولا أعرف هل فاتها أن "القرط" مذكر، وما هي الأقراط المؤنثة –بحسب تعبيرها– وما هي المذكّرة؛ فقد شاعت بعض الحُلى التي تُلبس في أُذن واحدة، فهل كانت تقصدها؟ أم أن جميع الحُلى عندها مؤنثة إلا ما يؤذيها فهو مذكّر كأي مذكّر تشنّ عليه هجومها!

إن هدى كغيرها من النساء تعيش بحسب الشرط النسقي المرتسم لها ذهنيًّا في العقلية العربية وفي المجتمع السعودي خاصة، بوصفه القانون الكوني الأزلي الذي لا تنتظم الحياة ولا تستمر إلا بتمثُّله (٢)؛ وهي في كل أعمالها تحاول أن تجدف عكس التيار، فهي الأنثى والشاعرة والكاتبة المتمرّدة.

أخيرًا تحتفي هدى الدغفق بالذاكرة كثيرًا؛ فهي تحرص على أن يكون لمحسوساتها حياة وذاكرة وتاريخ، وربما كان كل ما تذكره ضمن العقد السيرذاتي بينها وبين المتلقي، والذي اتكأ عليه كثير من الباحثين في أدب السيرة الذاتية، فهي لا تترك مجالاً للقارئ للشك في نوع الأدب الذي يقرؤه (٣)؛ وقد ذهب الدكتور صالح بن معيض الغامدي إلى أن البرزخية القرائية لا وجود لها في هذه النصوص، وهو يقصد نصوصًا كنصوص هدى الدغفق في كتبها الثلاثة السابقة، خاصة الكتاب الأخير، حيث تعترف هدى بأن ما تكتبه سيرة ذاتية، فلا مجال والحالة هذه – كما يذهب الدكتور صالح كذلك– لتمييع جنس السيرة الذاتية في أي فن كتابي آخر.(٤)

---

(١) المصدر السابق، ص٧٦–٧٧.

(٢) الغذامي، عبدالله "الجنوسة النَّسقية– أسئلة في الثقافة والنظرية" (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٧م) ص١٢١ وما بعدها.

(٣) هذا بالإضافة بالطبع لمعرفة الباحثة بالكاتبة معرفة شخصية.

(٤) انظر: الغامدي، صالح بن معيض "كتابة الذات– دراسات في السيرة الذاتية" (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣م) ص١٤٩ وما بعدها.

المصادر والمرجع

المصادر:

١. الدغفق، هدى "أشُقُّ البرقع ..أرى" (لبنان: جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١١م)
٢. الدغفق، هدى "هستيريا الافتراض" (مصر: دار العين للنشر، ٢٠١٤م)
٣. الدغفق، هدى "متطايرة حواسي ..شذرات سيرية" (الأردن: أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م)
٤. الدغفق، هدى "قصيدتي سيرتي أيضًا" مخطوط
٥. الدغفق، هدى "سبورة من خيال وسماء ومدى" مخطوط
٦. الدغفق، هدى "أسرار شخصية نموذجية" مخطوط
٧. الدغفق، هدى "حين شققتُ البرقع رأيتُ جرح المرأة السعودية" مجلة المجلة، ٢٨ ديسمبر، ٢٠١٣م
٨. الدغفق، هدى "أشق البرقع.. أرى" للشاعرة السعودية هدى الدغفق مجهر الرؤية الأنثوية" صحيفة الاتحاد الأماراتية، ١٣ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ/ ١٠فبراير ٢٠١٧م.

المراجع:

١. التميمي، أمل "السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر" (المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م)
٢. شحبي، إبراهيم "نسوانية المستقبل" (لندن: دار طوى للثقافة والنشر والإعلام، ٢٠١٤م)
٣. صبرة، أحمد "النقد النّسوي وبناء المفاهيم المضادة" (مصر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م)
٤. العلي، رشا ناصر "ثقافة النسق- قراءة في السرد النسوي المعاصر" (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٠م)
٥. الغامدي، صالح بن معيض "كتابة الذات- دراسات في السيرة الذاتية" (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣م)
٦. الغذامي، عبدالله "الجنوسة النَّسقية- أسئلة في الثقافة والنظرية" (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٧م)

الدوريات:

١. انظر: السمّوري، محمد "دلالات اللون الأبيض" موقع "ديوان العرب" www.diwanalarab.com٢٩ ديسمبر، ٢٠٠٨م.
٢. "الشاعرة هدى الدغفق في سيرتها "أشقُّ البرقع أرى" تجربة الكتابة جعلتني أعالج

أزماتي الخاصة، حوار أحمد الواصل، صحيفة الرياض، ع١٥٨٧٢، ١٣محرم ١٤٣٣هـ/٥ ديسمبر ٢٠١١م. طريقة تهميش الصحف

٣. المقبل، بدر "السيرة الذاتية النسائية في المملكة العربية السعودية- إرادة البوح وإشكالية التجنيس" مجلة العلوم العربية والإنسانية بجامعة القصيم، مج٧، ع٤، شوال ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م. الصفحات ١٤٨٧-١٥٥٢.

هدى عبدالله الدغفق

المعلومات الشخصية:

*الاسم : هدى الدغفق تاريخ الميلاد ١٩٦٩/١٠/٢٤م

المؤهل: بكالوريوس مصدره : الرياض (جامعة الأميرة نورة) التخصص : اللغة العربية وآدابها

الدورات التدريبية :

من خلال دورات وورش تدريبية متنوعة في مصر والأردن والبحرين وتونس وسويسرا

*تدريب على العمل في مجالات حقوق الإنسان.

*دورة القانون الدولي الإنساني والمعاهدات والمواثيق الدولية .

*طرق كتابة التقارير وكيفية تطوير الإعلام والاتصال.

*دورات في مهارات الاتصال الفعال ومقابلة الجمهور وأساليب الإقناع .

*دورة في اللغة الانجليزية لمدة ٣ شهور بالمجلس الثقافي البريطاني ومركز خدمة المجتمع

*دورة في تقنيات الإعلام الورقي والالكتروني والحملات الإعلامية

*دورة تطوير السلوك والتكيف مع الأحداث الطارئة .

الخبرات الوظيفية :

*عملت معلمة لتدريس مناهج اللغة العربية وآدابها للمرحلتين المتوسطة والثانوية بين عام ١٤١٠-١٤١٨هـ.

*العمل منسقة إعلامية بمكتب التربية والتعليم / شمال من عام ١٤١٩ بالإضافة إلى أعمال أخرى منها السكرتارية والمتابعة والمراسلات الإلكترونية وسكرتارية الأقسام والوحدات الأخرى .

*انتداب للعمل في مركز التدريب التربوي التابع لمكتب شمال الرياض بين ٢٠٠٦-٢٠٠٨م .

*انتدبت للعمل في وحدة الإعلام التربوي بمنطقة الرياض فصلا دراسيا عام ٢٠٠٩

*العمل في توثيق برامج المنتدى الثقافي التابع لمكتب التربية والتعليم /شمال حتى عام ٢٠١٢

*العمل مساندة للجان القضايا في تحرير وصياغة التقارير وتتبع القضايا والشكاوى التعليمية. .

*معلمة للمرحلة المتوسطة١٣٣٥-١٣٦٣ .

*عضو في اللجنة الثقافية التربوية حتى تقاعدي عام١٣٣٦ التابعة لوزارة التربية والتعليم.بترشح من الوكالة المساعدة للوزارة.

*صحافية متعاونة مع مجلة الفيصل ٢٠١٦

المساهمات في مجال التربية والتعليم :

*الإسهام في تأليف النصوص الشعرية في المناسبات التعليمية والتكريمية .

*تدريب الطالبات على أساليب الكتابة الأدبية والتحرير والتعبير .
*صياغة وكتابة وتحرير الأخبار الإيجابية والإنجازات الخاصة بوزارة التربية والتعليم ونشرها من خلال استثمار عدد من المنافذ المتاحة مثل مجلة البنات ومجلة المعرفة والبوابة الالكترونية والصحافة المحلية.
*شرفت باتخاذ أحد نصوصي الأدبية مادة للدراسة في منهج المقررات بالمرحلة الثانوية وعنوانه ٢٠٠٨(أبها بحيرة وامرأة).

المساهمات الإعلامية والأدبية:

*بدأت ممارسة الكتابة في سن الثانية عشرة ، وبدأت في النشر في عمر السادسة عشرة.
*بدأت الكتابة في الصحافة العربية والمحلية في مجالي الثقافة والمجتمع منذ العام ٨٣ م كما

عملت في المجالات التالية :

*كاتبة عمود صحافي (ضمير الورقة) بمجلة اليمامة عام ٨٩ م
*كاتبة عمود صحافي (ضمير الورقة) بصحيفة الجزيرة عام ٩١م
*محررة صحافية في صحيفة الحياة من عام (٩٨-٢٠٠٠)
*محررة ثقافية وكاتبة عمود (فيروز) بصحيفة الرياض من عام (٢٠٠٠-٢٠٠٧)
*مسؤولة تحرير لمجلة (ماري كلير) الصادرة بثمان وعشرين لغة عالمية في مكتبها بالرياض عام ٢٠٠٨ م.
*محررة في صفحات الثقافة بصحيفة الوطن (٢٠٠٩-٢٠١٢)
*كاتبة عمود بصحيفة مكة (بملء الروح) عام ٢٠١٤ م
*الإسهام ببعض الدراسات والبحوث في مجالات الثقافة والأدب والإعلام وبعض الدراسات الاجتماعية والفلسفية وكذلك في مجال حقوق المرأة المثقفة والإعلامية من خلال تقديم بعض الدراسات والبحوث والمقالات في مجالات الإعلام والثقافة والأدب والمرأة.

المشاركات:

أولا -المشاركات المحلية (أوراق العمل أو الدراسات البحثية)

*المشاركة في المنتدى الإعلامي الأول للجمعية السعودية للإعلام والاتصال بورقة عنوانها (معوقات صحافة المرأة في المملكة ومآخذ على المؤسسات الصحافية) عام ٢٠٠٢م.
*المشاركة بورقة بحثية عنوانها (المتاحف الوطنية بين الإعلان والإعلام والتعليم) بمناسبة الاحتفاء باليوم الوطني السعودي بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي في الرياض عام ٢٠٠٤م .
*المشاركة بورقة بحثية بعنوان (موقف المؤسسات الثقافية والإعلامية من إبداع جيل التسعينات

في السعودية) في النادي الأدبي بالرياض. ٢٠٠٩م

*المشاركة في الملتقى الإعلامي الأول بجامعة الملك سعود بورقة بحثية عن (دور المؤسسات الصحافية في تطوير مهارات الصحافية السعودية) . عام٢٠١٠م.

*المشاركة بورقة عمل بعنوان (العنف في الخطاب الثقافي الموجه للمثقفة) في الملتقى الثاني بمنطقة تبوك ٢٠١٠م.

*المشاركة بشهادة إبداعية في كتابة قصيدة النثر السعودية قدمت في الملتقى النقدي الثالث بالرياض بعنوان (تجربتي في الشعر : أنا دودة القز ، قصائدي حرير) ٢٠١٠م

*تقديم بحث بعنوان (قصة المرأة والفلسفة)في الحلقة الفلسفية بأدبي الرياض٢٠١٣ م

ثانيًا –المشاركات الدولية (أوراق العمل أو الدراسات البحثية)

*المشاركة بورقة عمل عن (تطور الصحافة النسائية السعودية)في مهرجان الصحافة النسائية بجامعة قطر عام ١٩٩٨م.

*المشاركة بورقة عمل بعنوان (تمكين الصحافية السعودية) في الأردن بدعوة من مؤسسة شرقيات للإعلام ومنظمة اليونسكو عام٢٠٠٤ م .

*المشاركة بورقة عمل منشورة بعنوان (العنف ضد إبداع المرأة) في المعهد العربي لحقوق الإنسان بتونس ونشرت في تقرير منظمة العفو الدولية ٢٠٠٤م

*المشاركة في جلسات مؤتمر الرأي العام السعودي وقضايا الإصلاح في القاهرة عام ٢٠٠٦ م.

*المشاركة بورقة بحثية عنوانها (صورة المرأة في الإعلام العربي – المرأة السعودية نموذجاً) في الميريا بأسبانيا ٢٠٠٧م .

*المشاركة بورقة عمل بعنوان (دور الإعلامية السعودية في تعزيز الثقافة الوطنية) بالأردن بدعوة من مركز الإعلاميات العربيات. ٢٠٠٩ م.

*المشاركة في برنامج وزارة التعليم العالي السعودية في معرض جنيف للكتاب بتوقيع مجموعتي الشعرية المترجمة إلى الفرنسية (امرأة لم تكن) لرواد المعرض الأوروبيين عام٢٠١٢م

*المشاركة في الملتقى الإعلامي العربي بالكويت بمداخلات حول(إعلام الشباب في زمن الربيع العربي) عام ٢٠١٣م.

*المشاركة في الملتقى السردي الثاني لدول مجلس التعاون في دولة الكويت بورقة بعنوان (الأصوات السعودية الجديدة روائيًا)٢٠١٤م.

المشاركات الأدبية (محليا ودوليا)

*تمثيل الشعراء السعوديين الشباب في مهرجانات دول مجلس التعاون من عام ١٤١٣– ١٤١٧ هـ

*المشاركة بأمسية شعرية (في سلطنة عُمان)١٤١٣هـ.
*المشاركة بأمسية شعرية في أنشطة الهيئة العليا لأمانة مدينة الرياض بالتعاون مع مجموعة الحكير الترفيهية بأمسية شعرية عام ٢٠٠٤م
*المشاركة في الأمسية الشعرية الكبرى بمهرجان الجنادرية الوطني للتراث والثقافة عام ٢٠٠٥م *المشاركة بأمسية شعرية في مهرجان جرش بالأردن عام ٢٠٠٥م.
*المشاركة في المهرجان العالمي للشعر في كولومبيا بأمسية شعرية عام ٢٠٠٦م
*المشاركة بأمسية شعرية في الملتقى العربي للشعر باليمن ٢٠٠٦م
*المشاركة بأمسية شعرية في الأسبوع الثقافي السعودي المصري بالقاهرة عام ٢٠٠٦م
*المشاركة في الليالي العربية السعودية والتونسية بأمسية شعرية بتونس ٢٠٠٧م
*المشاركة بأمسية شعرية في مهرجان الرقة للشعر العالمي بسورية ٢٠٠٨م
*المشاركة في الأمسية الشعرية الكبرى بمهرجان الجنادرية الوطني للتراث والثقافة والمقامة بجدة عام ٢٠١١م
*المشاركة في الملتقى الشعري الثالث لدول مجلس التعاون بالشارقة بأمسية شعرية عام ٢٠١٣م.
*المشاركة بأمسية شعرية في مهرجان (الزيتون) بمنطقة الجوف ٢٠١٤م .
*المشاركة في جلسات مركز الحوار الوطني : استشراف المستقبل عام٢٠١٤م
*المشاركة في كثير من الأمسيات من خلال الأندية الأدبية السعودية ٢٠١٤-٢٠١٦م

المؤلفات:

١. "الظل إلى أعلى" شعر ط١ ،دار الأرض١٩٩٠م ط ٢،دار المفردات السعودية، ٢٠١٢م
٢. "لهفة جديدة "شعر، ط١، دار كنوز، لبنان ٢٠٠٠ م ، ط٢ ،دار المفردات، السعودية، ٢٠٠٢م
٣. "سهرت إلى قدري" دار الفالفا، أسبانيا٢٠٠٦م مترجم إلى اللغتين الإنجليزية والإسبانية
٤. "امرأة لم تكن" شعر، مترجم إلى الفرنسية، دار الفارابي، بيروت ٢٠٠٨م
٥. "ريشة لاتطير" شعر، مترجم إلى الإنجليزية، دار الفارابي، بيروت ٢٠٠٨م
٦. "بحيرة وجهي" شعر، مترجم إلى الإسبانية، دار الفارابي، بيروت ٢٠٠٨م
٧.مجموعة شعرية بعنوان "بلا طيرة ألمي" دار نينوى، ٢٠١٢ م
٨ .سيرة ثقافية فكرية بعنوان "أشق البرقع ..أرى"٢٠١٢.
٩.كتاب "فلسفة المستقبل"حوارات دار طوى ٢٠١٤ م.
١٠. كتاب "هيستيريا الافتراض" في الأدب التفاعلي الرقمي، دار العين ٢٠١٤ م.

١١.كتاب "متطايرة حواسي .. شذرات سيرية" دار أزمنة ٢٠١٧م

قيد الطبع:

*أنطولوجيا شعرية مترجمة للإيطالية بعنوان "مثلُ نبض" ٢٠١٧م

* ديوان شعر "أربي ظلي على العصيان" دار الفراشة ، ٢٠١٧ م

*رئيسة اللجنة النسائية في النادي الأدبي بالرياض ٢٠٠٨ – ٢٠١١م

*عضو في الجمعية السعودية للإعلام والاتصال حتى الآن .

*عضو في هيئة الصحفيين السعوديين

* رئيسة اللجنة النسائية في النادي الأدبي بالرياض ٢٠٠٨-٢٠٠١٢م

* عضو مجلس إدارة النادي الأدبي بالرياض منذ العام ٢٠٠٨ وحتى الآن.

* رئيسة لجنة بيت الشعر بالنادي الأدبي بالرياض

*عضو في منتدى الأديبات العربيات ٢٠١٣م

العضويات الدولية:

*عضو في نادي الصحافة بدبي

*عضو في الجمعية العربية للإعلام بدبي .

*عضو في الملتقى الثقافي الأهلي بالبحرين

*عضو في لجان تحكيم الكتب الثقافية والأدبية التابعة للأندية الأدبية السعودية.

الجوائز:

*حاصلة على عدد من شهادات الشكر والتقدير المحلية والعربية والعالمية لمشاركاتها المتعددة.

* حاصلة على جائزة أفضل نشاط ثقافي عام للأمسيات الشعرية التي شاركت بها لثلاثة أعوام من الهيئة العليا لتطوير منطقة الرياض٢٠٠٤م